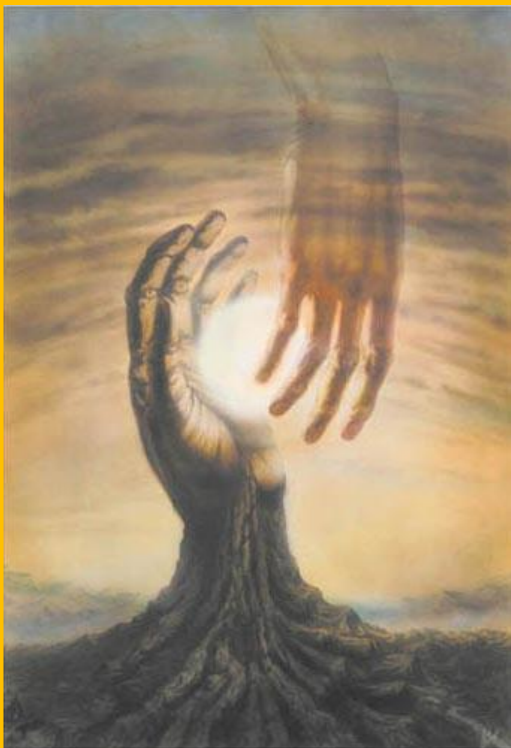
دیزیره سقال

وَجْد



٢٠٢٠

ديزيره سقال

وَجْد



٢٠٢٠

أَذوبُ بعينيكِ

أَذوبُ بعينَيْكِ...
مثلَ ضبابِ السَحَرْ
وأَبْزُغُ مِنْكِ جديدًا...
كضَوْءِ القَمَرْ،
وَأترُكُ ذَاتي كطِفلٍ شَريدٍ،
وَأَتْرُكُ عَيْنَيَّ،
أَتْرُكُ صَوتي،
وَأَتْرُكُ كُلَّ وُجُودي
لأَغْدُوَ غَيْمًا رَقِيقًا
يُلامِسُ رِقَّةَ قَلْبِكِ

حِينَ تَنامُ البَشَرْ.

أَذُوبُ بِعَيْنَيْكِ...
حينَ أَضِلُّ الطَرِيقْ
وَأَلْمُسُ رُوحَكِ نارًا،
وَأَطْرَبُ حِينَ أَذُوقُ الحَرِيقْ.
أَذُوبُ بعَيْنَيْكِ... حتَى أُحِبَّكِ أَكْثَرْ،
وَحتّى أَصيرَ لِثَغْرِكِ
شَهْدًا وسُكَّرْ،
وَأَمْحو كِيَاني
لِيَغْدُو على خَطَوَاتِكِ

وَرْدًا وعَنْبَرْ...
أَعُودُ بِعَيْنَيْكِ طِفلاً رَقيقْ
تُرَبّيهِ رِقَّةُ قَلْبِكِ
حَتّى يَشِبَّ وَيَكْبَرْ.

أَذُوبُ بِعَيْنَيْكِ
مِثْلَ حُبوبِ المطَرْ
وَأَسْقِيكِ عِشْقَ فُؤَادي
لأُبْعِدَ عَنْكِ الضَجَرْ...
وَأَزْرَعُ فِيكِ جُنُونَ التَمَنّي،
وَأَعْرِفُ أَنّي

أَصِيرُ بِعَيْنَيْكِ لَوْنَ السَحَرْ،
وأَنّي اخْتَصَرْتُ نِساءَ البَشَرْ
بِهَمْسٍ رَقيقٍ
يَلوحُ بعَيْنَيْكِ
أَوْ
برَذَاذٍ مِنَ الشِّعْرِ يَنْهَلُّ مِنْ شَفَتَيْكِ،
وَلَوَّنْتُ ظَنّي
برِقَّةِ قَلْبِكِ... حَتّى يَكونَ الجُنُونْ
وَحَتّى كَأَنّي
إِذَا غِبْتُ في هَمْسِكِ المطْمَئِنِّ
تَمَنَّيْتُ أَلّا أَرى بَعْدُ شَيْئًا
وَأَلّا أَكونْ.

الغائبة

عندما ينفتِحُ وجهُكِ على ضوءِ قلبي
تَسيل رائحةُ الزهور
على أهدابي،
ويَندفعُ النور من ليل عينيكِ
لِيَغْسِلني...

***

وحين تأتين إليّ خارجةً من السراب
أَرْوَعَ مِنْ سَراب
أَكْتَشفُ الغِبْطةَ،
أُلَوِّن الخيالَ برائحةِ الفَرَح،

أَنْسُجُ منكِ ألفَ أفق،
ومن رقّة صوتِك
مجرّاتٍ من الأحلام...
***

وحين تمتدّ إليّ يدُكِ من خلَلِ الأُفق
ترفعني الغرابة إلى سَمْتِ الحبور،
وبيني وبينكِ آلافُ الصحارى،
بيني وبينكِ مدنٌ وآفاق،
بيني وبينكِ فضاءات ومجرّات...
ومع هذا
تسكنين جلدي عميقًا،
تستعمرين كياني، وتخرجين من مسامّي...

فكيف... كيفَ تكونين فيّ

وأنتِ بعيدة حتى الغياب؟

وكيف تكونين منّي

وأنتِ ضباب...؟

***

عندما يَنهَلّ في عينيّ

ليلُ عينيكِ الأثيريّتين

أَتَساقطُ فيكِ كورقِ الخريف،

أَتَفتّتُ بهدوء،

أَسيل... حتّى الفرَحِ... حتّى الغياب...

وعندما يخرج وجهُكِ إليَّ من ثنايا الحبور

أَعرفُ أنّي غِبْتُ فيكِ،

وأنّي بدأت...

المسافة

تمرُّ المسافةُ بيني وبينَ
لكِ تتركُ فيَّ حريرَ الغيابْ
فأفتحُ عينيكِ في مُهجَتي،
وأُبحرُ عبرَهما في السَحَابْ،
ويحمِلُني شوقيَ المطمئِنُّ
إلى مرفإٍ ضائعٍ في الضبابْ،
وتَغرقُ روحي بأفْياءِ روحِ
لكِ تمسَحُ فيها عَناءَ العذابْ،
وأَنسى وجودي – فَعَيناكِ كونٌ،
ويغدو كِياني هَباءً مُذابْ...

وعَيناكِ فِيَّ غيابُ المسافَ
ـةِ، لَحْظٌ من الروحِ بينَ العُبابْ؛
وأرحلُ فِيَّ إليكِ، أَضيعُ
بعينيكِ عِشْقًا، وأنسى الإِيابْ،
وأنسى وجودي على شاطئَيْكِ:
أَصيرُ بروحِكِ طَعْمَ اغترابْ:
لَبَوْحُكِ مُعجزةُ الخَلْقِ فاضَتْ
على الكونِ خِصبًا ليمحو اليَبابْ،
فأنتِ الألوهةُ تحضنُ روحي،
وأنتِ الأناجيلُ، أنتِ الكِتابْ...
فكيفَ تقومُ المسافةُ، بَعْدُ،
وأنتِ إلهي بدنيا الترابْ؟

بَوْح

تسيلُ على وجهِكِ الزئبقيِّ شجونٌ
ويرحلُ فيهِ ارتباكٌ نَضيرْ،
كأنّ مدى الشمسِ حاصرَ وجهَكِ بالنورِ
ينزفُ لونَ الحُبورِ
ويحملُ من فائضِ الفرَحِ المُتَشَفِّفِ
كونًا أَثيرْ.
كلّما جالَ في صَمْتِ بوحِكِ وجهي
تَكَسَّرُ فيهِ الدِلالاتُ
حتّى الغيابِ...
أَلَيْسَ لهذا الكلامِ الأسيرِ انعِتاقْ؟

وكلُّ الوجوهِ تَوارَتْ
على نظرةٍ عبَّدَتْها زهورُ افتراقْ.
أَلَيْسَ لهذا الكلامِ انعتاقْ؟
وكلُّ المسافاتِ ترحلُ فيهِ
ولكنّهُ ضَيّقٌ كالغيابِ.

***

تسيلُ على وجهِكِ الزئبقيِّ
طيوفٌ أُساكِنُها
مثلَما يسكنُ النبْضَ في القلبِ
أوْ
مثلما يرحلُ الجِذْرُ في عَتَماتِ الترابْ.

وتبقينَ ساحرةً
حينما تسكرُ الشمسُ منكِ
فيُسْكِرُني نورُها...
وتسيلينَ في مهجَتي وطنًا رائعً كلَّ يومٍ
أَطَلَّ منَ النورِ مبتسِمًا
ثمّ غابْ...

تيه

كلّما دَخَلتُ وجهكِ الفردوسيّ تهْتُ في فضاءات عينيكِ، وتعالَيتُ مع بَخورِكِ المتصاعد عبر رائحةِ الألَق لِأُلامِسَ السَّمْت. وحين تنفتح قرارتي على قراءاتِ الوجود، أَقرأ نشوةَ الخَلق على شفتيكِ الزهريّتين، وعُمرَ الوجْدِ في نبْض قلبكِ الدفيق، وحرارةَ اللقاءِ في إساركِ الساحر،

أَقرأُ حروفَ العِشقِ الفوّاح في صمتِ نظراتِكِ تفضحُهُ عيناكِ المرتعشتان بين حقول الانخطاف؛

أقرأُ سرَّ صمتَكِ المسجّى على حدودِ بوحِكِ،
أقرأ حُمرةَ الحياء في بوحِ قلبكِ العاشق...
أقرأُكِ... آهِ، كالكتابِ المفتوح

أو

كعبور الذهول في انبثاق الحلم.

فكيف كيفَ، يا سليلة النور والشذا،

كيفَ أُلامسُ نبْضَ حضورِكِ الزاهي

وأنتِ أثير؟

كلّما دخلتُ وجهَكِ الفردوسيّ تهْتُ في فضاءاتِ

عينيكِ،

وعيناكِ السَّمْتُ،

عيناكِ نشيدُ الألوهة،

عيناكِ العبيرُ الدافق في قصّة الخَلْق،

عيناكِ التسابيحُ في سديم قلبكِ القدّوس،
عيناكِ المدى المفتوح
خارجًا من أُلوهةِ التكوين إلى أُلوهةِ التكوين،
عيناكِ الوَجَعُ الطافرُ من أهازيج الولادة،
عيناكِ كلُّ الكتب المقدّسة:
سجودٌ ونهوض وصلاة،
عيناكِ كفّارة الخاطئ بالتوبة
وانبثاقُ الإيمان من جليد الكفر،
عيناكِ اخضرار الشعر في يَباس العالم الفارغ،
وأنتِ الخواءُ والامتلاء،
أنتِ الموتُ والحياة،
الجليدُ والنار،

النظامُ والفوضى،
البوحُ والصمت،
العفّةُ والشهوة،
أنتِ الشرق والغرب والجهات وما بين الجهات...
فكيف أخرج، بعدُ؟

كلّما دخلتُ وجهَكِ الفردوسيّ تهْتُ في فضاءات عينيكِ،
كلّما احترَفْتُ وهجَكِ الشفيف
آنسْتُ وجهَ ربّي خارجًا منكِ إليّ
وساكَنَتْني كلُّ أجيال الملائكة،

وكلُّ كوثر الجنّة وهو يَدفقُ من كيانكِ اللازَوَرديّ.

كلّما احْتَرَفْتُ وهجَكِ الشفيف

انفتَحَتْ من كوّةِ الأبديّة رائحةُ الحبور:

حبورٌ... حبورٌ... حبورٌ يغسل المدى. حبورٌ أزرقُ على شفافية السماء. حبورٌ... حبورٌ صاهِلٌ في ألَمَ الوَجْد. حبورٌ شفيفٌ كالضوء يحمل الفضاءَ على عمر يطير. حبورٌ... حبورٌ عميق كالصلاة، أليف كالهواء، ينشر روحي جنّةً على ثنايا كيانِكِ...

وأنا الخارجُ منّي إليكِ،

الداخلُ من روحي إلى روحِك،

أنا الذاتُ تلبسُ ذاتَكِ،

أنا الشهوةُ الأعمقُ تخترق جسدَكِ

والصلاةُ الهادئةُ ترفعُكِ بَخورًا
ترتفع إلى عينيكِ أريجَ قِدّيسين
وضَوْءَ ملائكة ترنّم...
وأنتِ، يا انفتاحَ الأبد في حروفِ الشِعر الطافرة،
تستغرقينَ في مدى القصيدة،
وتحلمين... تحلمين... تحلمين...

سجن

تنزلين إليَّ من عَلُ
وتنفتحين على قلبي،
فانكشفي مثلما ضوءٌ يتقطّرُ من مسامِّ الأثير،
مثلَما الوجعُ الذي له رائحةُ الضوءِ وطَعِمُ الألوان، واستقِرّي على بريق الألق في كياني المنكشف ليستعمرَ النورُ أنحائي اللاهِفَة.
تنزلين
وفي عينيكِ راياتُ الفرح
وزوايا الذهول...
تنزلين

وحولكِ جوقاتُ الضياء
وترانيم الغبطة ترسلُ أذانها فوق عُرْي السفوح
وآلافُ الغمغمات التي تتعالى إليكِ
من هضباتِ الأرض وانسدالِ البحر.
تنزلين... تنزلين...
تعجنين قلبي بالنور وكياني بالغبطة
وعمري برفّاتِ الأريج الذي يعبقُ في آهاتِ قلبكِ...
حين يكونُ الوقت
خفيفًا كبخور يتصاعد،
حين يكون الوقت
أَرَقَّ من الغياب...

انكشَفْتُ لكِ/ انكشَفَتْ لي عيناكِ

تَكاشَفْنا...

لبسنا حَجمَ الوَجْد

لبسنا اخضرارَ الأرض ولازَوَرْدَ السماء،

لبسنا ارتعاشاتِ النشوة وذهولَ الحلم —

تلابَسْنا:

"أنتم لباس لهنّ وهنّ لباس لكم."

أنتم النور، وأمّا هنّ فرائحةُ النور.

أنتمُ الكشفُ، وأمّا هنّ فالرؤيا.

أنتم الخَلْقُ، وأمّا هنّ فأُولى الكلمات.

تلابَسْنا —

كان السديم يتصدّع في داخلنا،

يتناثرُ،
تنزفُهُ مسامُّنا لونَ ألق
ورائحةَ لُبان...
كان الزمنُ يتحلّل في كياننا
ويصير انخطافَ لحظة...
كان الكونُ ينحلّ
كما تنحلّ الشهوةُ في مشيمة الولادة
والعمرُ ألفَ عمر،
فضاءاتٍ مزهّرة تعبق بترانيم الملائكة...
كان بيني وبينكِ سَفَرُ المسافاتِ العطشى
وصحارى الرغبة المليئة بالكشوف؛
كان بيني وبينكِ

هذا العمرُ الثقيل ينضحُ نورًا
وأذانُ الجوامعِ وأجراسُ الكنائس وجراحُ الوطن...
كان بيني وبينكِ
نزيفُ المسافة الرائعُ
وكلُّ جوعِ الرعشات والوحدة
ومع ذلك الْتَأَمنا
وانتقلتُ إليكِ،
كسرْتُ فيكِ الصمتَ الهاجعَ كالجليد،
كسرتُ جراحَ المسافةِ العالية كالسور،
كسرتُ المدى...
كسرتُ الفراغَ بين الكيانِ والكيان
وانكسرتُ كرغيفِ الفقراء في كيانكِ المفتوح،

فلُمّي عليكِ هذا الكشفَ الطالعَ من الأقصى
واحبسيني...
آه، احبسيني
ولوّني بي حروفَكِ والأحلام،
لوّني بي زهوَ العُمْرِ الشفيفَ
وضوءَ الرقّةِ المنسابَ من ليل عينيكِ
وحمرةَ الشفق التي تسيل على خدّيكِ،
لوّني بي الشعرَ والصمتَ والكيان
والزهوَ الأعمقَ والانخطافَ والألَق
واحبسيني... في قرارِكِ الأثيريّ
آه، احبسيني...

وحين يكبر السجنُ في عينيكِ الرائعتين
ويضيق الكيان كحبّة القمح،
امسحي دربَ الخروج عن عينيّ
فلا أعودُ منكِ بعد...

صلاة

لماذا
كلّما ذكرْتُ اسمَكِ القدّوس
تراءى لي الأثيرُ في حروفٍ من أَرَجٍ،
ولفَّ وجهي ابتسامُ عينيكِ،
وَرِقَّةُ ملمَسِكِ،
يا أرَقَّ من أثيرْ؟

لماذا
أصوّرُ فيكِ ذاتي
حين تنكسرُ ذاتي عليَّ

فأَلمُّ أشلاءَها باقةَ وردٍ أحمرَ
أَرْفعُها لروحك؟

لماذا؟
إذا تورّدَتْ وجنتاكِ
غوى فيهما اللون،
فانحلَّ ألوانًا أروعَ من قوسِ قزَح
عندما ينحدرُ من الفردوس؟

لماذا

كلّما ابتعدْتُ عنكِ اقتربت،
وكلّما انكفأْتُ انفتحتُ عليكِ،
وكلّما أقفلتُ عينَيَّ انداحَ فيهما وجهُكِ المبتسمُ
وهو يرشحُ نورًا وغواياتِ ألوانٍ وعِشْق؟

لماذا
كلّما غبتُ فيكِ أكثرَ اشتقتُ إليكِ
وكلّما ابتعدتُ عنكِ خرَجْتِ من مسامّي
ولبسْتِ كياني ثوبًا
وحضوري جسدًا؟
ومتى مَضَّني الأرَق

خرجْتِ إليَّ من السهاد
أروعَ من حلم
وأَعمقَ من غبطة؟
وكلّما ساكَنَني الحزنُ
مَسحْتِ عنّي بصماتِهِ المحرقة
ومَلأتِ قلبي بفرحِكِ الشفيف
وحضورِكِ الرقيقِ حتّى الغياب؟

أَيَكْفي، بعدُ،
أَنْ أعشقَ فيكِ ترنيمُ الملائكة
ورقّةَ الكوثر

وطُهْرَ الأولياء؟

أيكفي، بعدُ،
أَنْ أَتَوَهّجَ بانخطافِ الكَشْف
لأُكاشفَ ذاتي عريَها فيكِ
وأُعلِّمَ كياني أن يقراكِ حرفًا حرفًا
جسدًا من نور
أو
أَثيرًا من جسد؟

أَيَكْفي، بعدُ،

أَنْ تكوني القصيدةَ
وحرارةَ الشِعرِ المنهَلِّ من فوقُ
ينقل إِليَّ فِعْلَ التكوين
وألَقَ المحبّةِ في ضميرِ الله؟

أَيكفي، بعدُ،
أَنْ أَركعَ في عينيكِ
لأحملَ لكِ باقةَ حضورٍ في حضورِكِ الأحَد؟
أن أُصلّيَ في عينيكِ
للهِ الجاثمِ في سِدْرتهما
يفيضُ بكِ على الوجود؟

عُمْر

إنّني أبدأ الآن سرّ وجهِكِ والسديم/

فانزلي إليّ مِن عَلياء، مرتديةً ثوبَ الفصول، وانكشفي لكياني آهَةً عميقةً تَحلُّ على خاصرةِ الأرض، تُحِلُّ فيها خصبَ الزهو، وحضورَ الارتقاء، ورقّةَ اللازَوَرْد/

انزلي إليّ من علياء
وانكشفي
فأَفتحَ لكِ نوافذَ الكيان،
أَغسلَهُ بشمسكِ الأثيريّة،
أُعَمِّرَ بهجتي برقَّتِكِ،

أَسندَ حياتي بحضورِكِ الشفيف،

أَيَّتها الحاملةُ منها لونَ البهاء

ورائحةَ الفرحِ الشَفَقِيّ

وهو ينسجُ لألاءَه من ارتعاشةِ بسمتِك...

أيّتها القادمةُ من زقزقة الأثير

وفردوسِ الألوانِ إذ يذوبُ بين ألوان نظرتِكِ،

يَدَكِ فأرحلَ في نوافير الغِبطة،

يدَكِ فأنحلَّ فيكِ ثوبًا سديميًّا

من ارتعاشاتِ الخَلْقِ حينَ يَفيضُ عليه النور...

يدَكِ، آهِ، يدَكِ

فتَنْشَقَّ الحُجُبُ بيني وبينَكِ

وتنهَضي

مشرقةً كالذهول،
مَمْهورةً بالفرحِ الكونيّ/
انهَضي إليَّ فأَستحمَّ بكِ،
برقّتِكِ التي ترسم الحقيقة،
تفتحُ فضاء العُمْرِ على ألَقٍ جديد...

***

إنّني أبدأ الآنَ سرَّ وجهكِ والسديم/

فاخرجي إليَّ من سُحُب النور ليستحِمَّ الليلُ في عينيكِ الفِرْدَوْسِيَّتَين
واكسري حصارَ الزمن على قلبي المشرّع

فينفتحَ الألَقُ على حقولِ الألَق.
إلَيَّ لأُخصبَ يُبوسةَ العمر بالفَرادة
وأبنيَ الحضورَ في أفق جديد/
إليَّ لأرفعَ مدائنَ الزهوِ عند شواطئ عُمري
وأغرسَ أشجارَ الضوءِ على حدودِ كياني —
أُعَبِّدَ كياني بإشراقاتِ الحُضور/
إلَيَّ إلَيَّ فأكنُزَ البهجةِ في تألُّقِ الوَجْد
وأُزَخرفَ العمرَ بعباءاتِ الألَق،
أيّتها الواحدةُ عندَ آفاقِ وجودي،
أيّتها العالية كالكبرياء،
ٱلبسيطةُ كلفظةِ الخَلْقِ،
ٱلعَميقةُ كضميرِ الإله...

***

إنّني أبدأ الآنَ وجهَكِ والسديم/

فانكشفي
واكشفيني على رائحةِ حُبورِكِ،
واتركيني أغتسلْ في ماءِ حَيرتِك،
في رقّتِك المديدةِ كالضباب.
وعندَ حدودكِ المتراميةِ على أطرافِ قلبي
ألمُّ ذاتَكِ وأنثرُها كالأثير،
كبذور الذهول تنغرسُ في ترابِ كياني.
اكشفيني على رائحةِ حبورك
وعَرّي الكَشْفَ على رَقْرَقَةِ التكوين

حينَ يكونُ الموتُ أَليفًا كنَبْضِ الحياة،
حين تكونُ اللحظةُ الرائعةُ
أَعمقَ من أبَد...

وعلى امتداداتِ الوَجْد الذي يخطف كياني
ابْنِي لي عمرًا يرحل فيكِ كالسفينة
ولا يعودُ بعد...

كلما نظرتُ إليكِ رأيتُ الله

– ١ –

ينفتحُ عليَّ وجهُكِ مِن عَلُ. تتحرّك الغيومُ حولَه، يحيطُ به البحرُ حجابًا ومساحاتُ الليل الهادئة...

ينفتحُ عليَّ وجهُكِ من عَلُ.

تنزلينَ إليَّ حاملةً حولَكِ فراشاتِ الحبور ونسيمَ الجنّةِ الذي يَعلَقُ بأردانِ ثوبك، وغناءَ الملائكة في صمتكِ الأثيريّ.

ينفتحُ عليَّ وجهُكِ مِن عَلُ.

أرى البحارَ تركعُ فيه/ أرى الجبالَ تسجدُ في لونِ عينيكِ، يا سيّدةَ الطُهْر والرَهْبة، يا قدَيسة الحقول والطبيعة/

أرى المدى يتحرّك حولكِ وهو يصلّي، يتعلّم منكِ أن يكونَ شفيفًا، رهيفًا كالرؤيا، ساطعًا كالألَق/

أرى زهورَ الذهولِ تنمو حولكِ، وأرَجَ الدهشةِ يفوحُ من ثنايا جسدكِ الذي يقطنُ فيه النور...

أرى يديكِ تمتدّان إليَّ لأبرأَ وينفتحَ السنا في أعماقِ كياني/

أرى عينيكِ تخترقانِ روحي لتعجنَ فيها وجودًا جديدًا من الإشراق والروعة والحبور، تطيران بها إلى معاريج السماء، وتكرّسانِ لها وصايا جديدة وفردوسًا آخر.

يا قدّيسةَ السرّ الأعمق،

يا نور القلب النازل من عَلُ،

اسكني ثناياي وانبثقي إليّ منّي
فينكسرَ الزمنُ على حدودي
ويغيبَ المكان.

– ٢ –

تنفتحُ عيناكِ عليّ عبرَ الغيوم البيضاء/
في كلّ غيمة كواكبُ ومجرّات،
في كلّ غيمة عبيرُ جِنانٍ وكوثر،
في كلّ غيمةٍ قصّة تكوين...
أُلامسُ فيهما رقّةَ الصلاة وصفاءَ الهيولى/ أُلامسُ الذاتَ في عُريها الأول/ أُلامسُ الروحَ في أَقصى توحّدها/ أُلامسُ قوّةَ التكوين وعلوّ الآلهة/ أُلامسُ الفصولَ والزمانَ الأقصى والمكانَ الغائبَ في انخطاف الرؤيا/

أُلامسُ حضورَكِ الشفيفَ المنهَلَّ عليَّ من عَلُ
كالماءِ المقدَّس يباركُ الجسدَ بالروح،
ويفتحُ الروحَ داخلَ الجسد.
وحينَما تنظرُني عيناكِ أنخطفُ إلى فوقُ،
أَمُرُّ في هالات القديسين
وفي بركَة الأولياء،
أَنْخَطِف...
أَجْمَعُ المجرّاتِ والأفلاكَ في نطفةٍ واحدة،
أَمْسَحُ الزمانَ كلَّه: الدهورَ والآبادَ في لحظةٍ واحدة
تجمّعَت في بريق عينيكِ.
وهكذا
حين تنفتحُ عيناكِ عليَّ عبرَ الغيوم البيضاء
أَعرف أَنّهما تكتبان قصّةَ التكوين

وتنظمان قصيدةَ الخلْقِ الإلهيّة
تُنشدها شفَتا الإله الأحَد
ليغوى بها الكون...
فهل أَسألُ، بعدُ،
لماذا يرنّم الزمانُ عبرَ بحار عينيكِ؟
وهل أَسألُ، بعدُ،
لماذا فاض عَبيرُ الخَلْقِ عندما نزلتِ إليَّ من فوق
أكثرَ تالّقًا من ملاك؟
وهل أَسأل، بعدُ،
لماذا كلّما أَحببتُكِ أَحببتُ اللهَ أكثر؟
وهل أَسأل، بعدُ،
أَيّتها العاشقةُ المعشوقة،

أَيّتها الخالقة المخلوقة،
لماذا
كلّما نظرتُ إليكِ
رأيتُ وجهَ الله؟

نبوّة

دمي كَرَزٌ
يغطّي قلبَكِ المزروعَ كالفردوسِ بالضوءِ المصَفّى/
كنتُ أَصعدُ في السنينَ لأكتبَ الأشياءَ كالجسدِ الأثيريِّ
الذي يحيا برقّةِ صمتِكِ. ٱنقَفِلي عليَّ فلا أكونَ لغيرِ
عينيكِ اللتينِ تهدهدانِ وداعةَ الدنيا. ٱكسِريني
وانثريني في رَهافةِ جسْمِكِ الشفَقِيِّ أَنْبتْ فيهِ غيمًا
يسكُبُ الصلواتِ حولَكِ، يا صلاةً مثلَ لونِ الفجرِ، يا
قدَري!
دمي لحقولِ عينيكِ. ٱكسريني

في صلاةِ حجابكِ الليليّ، أو في قلبِكِ المفتوحِ
للنورِ المشرَّعِ،
وانثريني
في حقولِ الجنّةِ الخضراءِ/ وحدي في جِنانِكِ
أَستسيغُ الموتَ حينَ يصيرُ لونَ صلاتِكِ الزاهي، ووحدي
مُسْدَلٌ فوقي لِأُقفِلَني عليكِ كأنَّ ذاتي غيرُ ذاتي، أو كأنَّ
ترابَكِ المسكونَ بالنورِ ارتداني فانتزعْتُ منَ الوجودِ دمي.
دمي لحقولِ عينيكِ. ٱكسريني
وارفعيني في حبورِ الأولياءِ أَذُبْ لُبانًا صاعِدًا عبرَ
الصلاةِ، وقوّضي روحي لتخرجَ نحوَ روحِكِ تَوْأَمًا. هُزّي
إليَّ بجذعِ نخلتِكِ، ٱكسريني
وارسمي روحي بلونِكِ، واعبريني

كلّما رفَعَتْ صلاةٌ باسمِكِ الإنسانَ،
وانْتَثِري على قلبي ضبابًا رائعًا مثلَ انبثاقِ الخَلْقِ.
رُدّيني إليكِ وجَمّعيني
في صدى الناياتِ حولَ ضميرِكِ العاري. خُذيني
يا طَهاراتِ النبوّة في عذابات التخلّي.
كلّما صلّيتُ تخترقُ الصلاةُ مدايَ نحوكِ.
كلّما فكّرتُ في الفردوسِ أَصْعَدَني إلى عينيكِ
وانتَثَرَ الضياءُ على الضياءْ.
فلِمَنْ أَبوحُ بهذهِ الرؤيا
وليسَ بعالَمي الفاني سوى رَجْعِ الفناءْ؟
ولِمَنْ أقولُ الشعرَ، بَعْدُ،
وقد جَمَعْتِ بلَحْظةٍ من مقلتَيْكِ

جميعَ ما تعني الألوهةُ،
واختصرْتِ بصمتِكِ الفَوّاحِ في أَقصى دَمي
كلَّ النساءْ؟

أعود

أَعودُ إِليكِ
كما يرجِعُ الدفءُ للأرضِ
حينَ يهُلُّ الربيعْ
وأَغرقُ في قلبكِ اللازَوَرْدِيِّ،
أرْحَلُ في كُلِّ نَبْضٍ
لأَقْبُضَ فيهِ عَلَيَّ
فيَنْفَتِحَ النورُ مِنْ فَوْقُ
عُرْسًا بَديعْ...
وَأَرْجِعُ، وَحْدي، إِلى الملَكوتِ
كأَنِّيَ لَمْ أَتْرُكِ الملَكوتَ

ولا غابَ عَنّي...
وَهذا الهدُوءُ الطَويلُ الذي قَادَني
عَادَ يَهْزجُ في صَمْتِهِ
ساحِرًا:
كُلُّ ما فِيَّ فِيكِ،
وَفيكِ الفَرادِيسُ... كُلُّ الفَرادِيسِ
حِينَ أُطِلُّ عَلى الكَوْنِ مِنْ فَوقُ،
أَجبلُ مِنْ طِينِكِ الحاضِرينَ
وَمنْ ناظِرَيْكِ الذينَ سَيأْتونَ،
يا كُلَّ أَلْوانِ قلبي.
أَعودُ إِلَيْكِ
كَما يَرْجعُ الطِفلُ شَوْقًا إلى أُمِّهِ.

وَأَسْتَرْجِعُ العُمْرَ...
أَكْسِرُهُ...
أَفْتَحُ الفَجْرَ مِنْ عَيْنِكِ المشْرِقَهْ
وَأَمُرُّ عَلى شَفَتَيْكِ
كَرَشْحِ الحُبورِ
لأَنْسى كِيانِي
عَلى لَونِ قبلتِكِ المحْرِقَهْ.

حوريّة

أَتَقَطَّرُ في عَيْنَيْكِ
كَما يَتَحَلَّلُ حُلْمٌ
فوقَ حُروفِ الكَلِماتْ...
وَأَذوبُ بقَلْبِكِ قِطْعةَ سُكَّرْ،
وَحُروفًا تَحْضُنُهُ... مِنْ عَنْبَرْ...
فَلِماذا أَكْتُبُ بَعْدُ،
وَأَنْتِ جَمَعْتِ برِقَّةِ روحِكِ
كُلَّ الكَلِماتْ؟

***

وَإذا كَسَّرَني الحُزْنُ

وَبَعْثَرَنِي وَجَعُ الذِّكرى
أَوْ لَفَّ وُجودي وَجَعُ التغْييبِ...
كَما الأَكْفانْ
أَرْخَيْتِ عَلَيَّ حَنانَكِ يَرْأَبُني
وَيُجَمِّعُ قَلْبي،
يُخْرِجُهُ مِنْ مَلَكوتِ الأحزانْ...
وَمَسَحْتِ الحُزْنَ بِبَسْمَتِكِ الفِرْدَوْسِيَّهْ
لِأَراني عُدْتُ إِلى الدُّنْيا
وَفَتَحْتُ على عَيْنَيْكِ فُؤادي،
وَعَرَفْتُ بِأَنّي...
أَعْشَقُ حُورِيَّهْ!

ملاك

تَراءَيْتِ... مِثْلَ الملاكِ...
على غَفْلَةٍ...
فاسْتَعَدْتُ حَياتي،
وَحَوَّلْتِ قَلبيَ مَسرحَ نورٍ،
وَلَوَّنْتِ ذاتي بقوْسِ قُزَحْ...
وذُبْتِ عَبيراً
يُذَرْذِرُ روحَ السماءِ
على كَلِماتي،
ويَنثُرُ فيها رَنينَ الفرَحْ...

***

تَراءَيْتِ...
فاخْضَرَّ فِيَّ فُؤادي
وَأَشْرَقَ وَجْهُ الصّلاةْ،
وَذَوَّبْتِ حُزني بِباقَةِ لَمْساتِكِ العاطِراتْ...
ولمّا مَسَحْتِ كِياني بِقَلْبِكِ
أَحْسَسْتُ صوتَ السماءِ
يعودُ إِلَيَّا،
ونورَ السماءِ على ناظِرَيّا...
وصِرْتُ، إذا رُحْتُ أَتلو صَلاتي،
تُطِلّينَ أَنْتِ مِنَ الكلِماتِ
لِأُدْرِكَ أَنَّ ملاكي الصَّغيرَ
يَجيءُ وَيَحْنو عَلَيّا،

ويَترُكُ صَوْتَ السماءِ
يُهَدْهِدُ كُلَّ حياتي...

نَبض صلاة

لِماذا، إذا غِبْتِ عَنّي،
تَناثَرْتُ...
مِثْلَ الضَّبابِ الرَّقيقِ
وَما عُدْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ أَكونُ،
وَلا كَيْفَ أَمْشي،
وَلا كَيْفَ أُكْمِلُ، بَعْدُ، طَريقي...؟
وَأَنْسى، إِذا غِبْتِ،
كُلَّ وُجودي،
وَكُلَّ زَماني،
وَكُلَّ حُدودي،

وَأَشْعُرُ أَنِّي انْطَفَأْتُ
فَما عادَ نوري يَشِعُّ،
ولا عادَ شَيْءٌ يَرُدُّ بَريقي...
وَأَظْمَأُ...
لا ماءَ يَرْوي،
وَلا شَيْءَ يُطْفِئُ فِيّ حَريقي...

***

وحينَ تُطِلّينَ
يَرْجِعُ ضَوْءُ الحياةِ،
وَتَقْفِزُ، مِنْ فَرَحي، كَلِماتي...
وَأَعْبُرُ نَحْوَ الضِّياءِ،

يُسَوِّرُني النّورُ،
يَرْقى بِقَلْبي إِلى فَوْقُ،
حَتى تَسيلُ السَّماءُ
عَلى غَمْغَماتي...
فَكَيْفَ تَكونُ الحَياةُ حَياةً بِغَيْرِكِ
وَاللهُ لَخَّصَ فيكِ جَميعَ البَرايا
وَصَيَّرَ قَلْبَكِ نَبْضَ صلاتي...

معًا

يُجَرّحُ قَلْبَكِ الأَسى، حينَ تَنْفَتِحُ فيهِ ذِكْرى المَلاكِ الغائِبِ، وَيأْخُذُكِ الحُزْنُ خارجَ حَديقَةِ الفَرَحِ، وَأَنْتِ بَعيدَةٌ عَنّي...

تَنْفَرِدينَ، وَحْدَكِ، في مَعاقِلِ الدُّموعِ، حَيْثُ لا شَيْءَ سِوى قَلْبِكِ المرْتَجِفِ، وَعَيْنَيْكِ النّازِفَتَيْنِ حُرْقَةً وَغِيابًا.

تَنْفَرِدينَ وَحْدَكِ في مُراوَحَةٍ لا يَكْسِرُها سِوايَ، وَقَدْ رَماني إِلَيْكِ المَلاكُ الغائِبُ لِأَكونَ نافِذَةَ ضَوْءٍ خارِجَةً مِنْ روحِهِ الرّائِعَةِ.

فَهاتي يَدَكِ، أُخْرِجْكِ مَعي مِنْ آلامِ الانْكِسارِ، وَنُحَلِّقْ مَعًا خارجَ فَضاءاتِ البُؤْسِ وَالحقيقَةِ الخائِبَةِ...

هاتي يَدَكِ، وَاكْسِري وَحْدَتَكِ بي، لِيَكونَ الأَمَلُ الآتي عُنْوانًا لِغَدِنا.

هاتي يَدَكِ، فَتَبْرَأَ جِراحُنا، وَيَنْكَسِرَ الزَّمَنُ الثَّقيلُ عَنِ انْطِلاقٍ لِلسّعادةِ، يَحْمِلُنا إِلى آفاقٍ مِنَ الأَلْوانِ المتَشابِكَةِ.

هاتي يَدَكِ، فَتَكونَ وَحْدَتُنا جِسْرًا نَعْبُرُ بِهِ هذا الواقِعَ المكَسَّرَ.

مَعًا لا أَسى...

بلْ حُضورٌ جَديدٌ في قَلْبِ الحَياةِ.

مَعًا لا أَسى...

بل قُوَّةٌ رائِعَةٌ لِلتَّخَطّي، تَنْبَثِقُ مِنْ روحَيْنا المتَعانِقَتَيْنِ فَوْقَ الواقِعِ، عَلى امْتِدادِ النّورِ الّذي يُضيءُ أَعْماقَنا.

مَعًا نَكْسِرُ سِلْسِلَةَ الحُزْنِ الثَّقيلِ، لِنَنْطَلِقَ في فَضاءِ الحُبورِ، عَبْرَ سَماواتٍ رائِعَةٍ، مَليئَةٍ بِأَعْيادِ البِدايَةِ.

مَعًا كُلُّ شَيْءٍ مُمْكِنٌ، فَلا وَحْدَةَ، بَعْدُ، وَلا مُراوَحَةَ، وَلا انْقِباضَ، وَلا تَوَجُّسَ، بَل انْدِفاعٌ نَحْوَ الأَقصى، في عَزْمٍ يَفْتَحُ الطَّريقَ...

فَهاتي يَدَكِ، نَبْنِ عالَمَنا مِنْ نورٍ وَرائِحَةٍ وَبَخورٍ، وَانفُضي عَنْكِ غُبارَ الماضي، وَأَشْلاءَ اللَحَظاتِ المكْسورَةِ فَوْقَ تُرابِ النّوائِبِ.

هاتي يَدَكِ، فَنَبْرَأَ مِنْ حُزْنٍ وَغِيابٍ، وَنَمْسَحَ نَفْسَيْنا بِزَيْتِ التَّجَدُّدِ، وَنَرْقى إِلى مِعْراجِ التَّغْييرِ...

وَبِنا نَحْنُ يَبْدَأُ عَهْدٌ جَديدٌ، نَرْسُمُ فيهِ ذاتَيْنا الجَديدَتَيْنِ، فَوْقَ عُيونِ الآخَرينَ الماكِرَةِ، وَفَوْقَ صَهيلِ الغَضَبِ المهْزومِ...

أَيَّتُها المَرْأَةُ الشّفّافَةُ كَلَوْنِ السَّماءِ،
أَيَّتُها القِدّيسةُ المَرْسومَةُ مِنْ قلوبِ الأَطْفالِ،
يا رَنينَ الصّلَواتِ العاشِقَةِ.

طيف ملاك

لِماذا

إذا مَرَّ طَيْفُكِ في خاطِري

أُجَنُّ... أَطيرُ...

وَأَنسى وُجودي،

ويَرْشَحُ مِنْ ناظِرَيْكِ العَبيرُ...

وَأُدْرِكُ أَنّي

متى مَرَّ في خاطِري

خَيالُكِ عادَ إلَيَّ كِياني

وَأَيْقَنْتُ أَنَّكِ أَنْتِ المصيرُ...

***

وَحينَ تَغيمُ الدُّنى في عُيوني
تَجيئينَ أَنْتِ كَشَمْسٍ
تُنيرُ حَياتي،
وَتَمْسَحُ طَعْمَ الأَسى عنْ جفوني
فَأُدْرِكَ أَنّي
أَطيرُ على جانِحَيْكِ،
وَأَنّي أُحِبُّ مَلاكًا،
وَأَغْرَقُ في مُقلَتَيْكِ
وَأَنسى وُجودي،
أَذوبُ كَخَمْرٍ على شَفَتَيْكِ...
تَجيئينَ أَنْتِ
كَسِرِّ الصّلاةِ

وَنَبْضِ الحياةِ
لِتَدْفُقَ دِفْءَ الحُبورِ بقلْبي،
وَتَمْسَحَ عَنّي ظِلالَ الفَناءْ...
تَجيئينَ أَنْتِ
لِتَغْدُوَ كُلُّ همومي غِناءْ،
وَأَنْسى بقَلْبِكِ أَنّي انْكَسَرْتُ،
وَأَنسى بِعَيْنَيْكِ كُلَّ النّساءْ...

مناجاة

أُناجيكِ في نَزْفِ جُرْحي
وَأَنْتِ بَعيدَهْ...
وَأَغْسِلُ قَلْبي بِعَيْنَيْكِ
حِينَ تَلُمّانِ ضَوْءَ وُجودي،
وَأَبْقى وَحيدًا...
أُضَيِّعُ في صَمْتِكِ المرِّ كُلَّ حُدودي
لِأَكْتُبَ، مِنْ فَرَحي وَعَذابي،
لِعَيْنَيْكِ، بالدَّمِ، هذي القَصيدَهْ.

***

أُناجيكِ مِنْ وَحْدَتي
لِيَظَلَّ بِقَلْبِيَ ظِلُّكِ
مِثْلَ النَّسيمِ الرَّقيقْ...
وَأَبْدَأُ مِنْكِ حُروفَ حَياتي الجَديدَهْ،
وَأَرْسُمُ فيكِ كِياني،
وَأُحْرِقُ حُزْنِيَ حِينَ تُطِلّينَ،
أَخْرُجُ مِنْ هَوْلِ هَذا الحَريقْ...
لِأَلْتَمَّ فِي فَجْرِ عَيْنَيْكِ
خارِجَ حَدِّ الزّمانِ،
وَيَسْحَرُنِي الأَلَقُ المتَجَلّي
لِأَرْقى إِلَيْكِ نَشيدًا جَديدًا
يَضُمُّ بِأَحْرُفِهِ لَوْنَ كَوْنٍ مُطِلِّ

أَرَقَّ مِنَ الضَّوْءِ،
يَخْرُجُ مِنْ قَلْبِكِ المتَفَتّحِ.
بَيني وَبَيْنَكِ
هَذا الضِّياءُ الَّذي غَمَرَ الكَوْنَ حَوْلي،
وَهذا الرَّجاءُ عَلى فَجْرِنا المسْتَهِلِّ،
وَلا شَيْءَ فيكِ
سِوى نَبْضِ قَلْبي
يُوَقِّعُ أَلْحانَهُ مِنْ كِيانِكِ
وَهْوَ يُصَلّي،
وَيَغْمُرُهُ عِشْقُكِ المتَفَتِّحُ بِالضَّوْءِ
حِينَ يُسَوِّرُ بِالضَّوْءِ عَيْنَيْكِ،
يَفْتَحُ فينا نَشيدَ السَّماءْ...

وَأَنْتِ أَمامي مَلاكٌ تَجَلّى
يُوَشِّحُ قَلْبي بِعيدِ الرَّجاءْ...

موت

أَموتُ بِقَلْبِكِ، حينَ أراكِ،
وَأُدْفَنُ فيهِ لِأَحْيا كَثيرا...
وَأَعْرِفُ أَنَّ غِيابَكِ مَوْتي،
وَأَنَّ حُضورَكِ صارَ نُشورا.
وَأَجْهَلُ، حينَ تَكونينَ أَنْتِ،
لِماذا أرى اللهَ يَزْدادُ نورا؟
لَعَيْناكِ أَنْتِ سَماءُ وُجودي
أَطيرُ بها، وَأَذوبُ حُبورا،
وَبَسْمَةُ ثَغْرِكِ مِفْتاحُ روحي،
تَزينُ الحياةَ وتُغوي الحضورا.

فَكَيْفَ أَموتُ وَأَنْتِ حَياتي،

وقدْ صِرْتِ وَحْدَكِ أَنْتِ المصيرا؟

وعي

يَذوبُ كِياني بِعَيْنَيْكِ
مِثْلَ الضّبابِ الخفيفْ،
وَأَرحلُ عَنّي
إلى عالَمٍ مطمَئِنّ
تَهادى بِضَفَّةِ قَلْبِكِ
مِثْلَ الأَريجِ الرَّهيفْ...
وَأَرْقى إِلَيْكِ
متى ذُبْتُ في حُلْمِيَ المتَجَسّدِ
وَرْدًا ونورًا وشِعرًا شَفيفْ...
أُقَبّلُ ظِلَّ يدَيْكِ،

وَأَحْني قَصيدةَ عُمري عَلَيْكِ
لتَنْهَلَ مِنْ مُقلَتَيْكِ
عَبيرَ السّناءْ،
وَعِطْرًا تَخَمَّرَ تَحْتَ الضّياءْ...
وَأُدْرِكُ...
أُدْرِكُ، مِنْ بَعْدُ، أَنَّ البَهاءْ
تَكَوَّنَ مِنْكِ
متى مَسَّهُ قَلْبُكِ البِكْرُ...
أُدْرِكُ أَنَّ جَمالَ السّماءْ
سَيَخْجَلُ مِنْكِ...
وَيَغْدو إِزارًا منَ النورِ
يُسْدَلُ فَوْقَ ابْتِسامةِ روحِكِ...

أُدْرِكُ...
أُدْرِكُ أنَّ الحياةْ
تُلازِمُ كَفَّيْكِ حينَ تُقَبِّلُ روحي،
وَبَسْمَةَ ثَغْرِكِ لَحْنٌ
تَطيرُ بهِ الكَلِماتْ...
وَأَنَّ القصيدةَ أَنْتِ...
تَصَفَّتْ بِنَبْضِ فؤادي،
وَشَعَّتْ كَنورٍ تعانِقُهُ الكلِماتْ...

وِسْواس

جِسْمِكْ حِلِمْ،
وروحِكْ قَصيدِه مْعَمْشَقا بِالنّورْ،
وِعْيونِكِ حْروفا...
ونَشوتِكْ
شَهْقِة صَلا
بْتِفْتَحْ بِقلْبي عالَما المسْتورْ
كِل ما عَ جِسْمي دَقِّت بْشوفا...

***

جِسْمِكْ صَلا،

وْنِحْنا بِشَهْوِة جِسْمِك القِدّاسْ.
صَلّي مَعي... صَوْتِك حَلا
وْهَمْسِكْ بَقَلْبي
بْيِرْسُم الوِسْواسْ...

الفهرس



ولِمَنْ أقولُ الشعرَ، بَعْدُ،

وقد جَمَعْتِ بلَحْظةٍ من مقلتَيْكِ

جميعَ ما تعني الألوهةُ،

واختصرْتِ بصمتِكِ الفَوّاحِ في أَقصى دَمي

كلَّ النساءْ؟